
أثر اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية الفصحى في تشاد
أثر اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية الفصحى في تشاد
دراسة وصفية تحليلية *
إعداد: د/ عفاف محمد عlish عووضة
أنجمينا-تشاد
المقدمة

دولة عبارة عن بوتقة كبيرة، انصهرت فيها مجموعة الأعراق والقبائل المختلفة اللغات واللهجات، وقد أسهمت العديد من العوامل على هيمنة اللغة العربية وانتشارها في أوساط المجتمع التشادي منذ القديم وحتى الوقت الراهن. واللغة العربية تعد لغة المجتمع التشادي ووسيلته الوحيدة للتفاهم، بوصفها مشتركا بين جميع أفراد هذا الوطن.

والقبائل في أفريقيا جنوب الصحراء تمتاز بأن لكل قبيلة لغتها أو لهجتها الخاصة بها وبجانب اللغة العربية التي اكتسبوها من خلال التعليم أو الحياة الاجتماعية أو الزواج. ونسبة لكثرة الأصوات في اللغة العربية والتي يعتذر نطق بعضها لدى بعض الجماعات، فإنها تسمى بعض الأشياء بلغتها أو لهجتها، الأمر الذي أدى إلى تسرب هذه المفردات إلى المعجم اللغوي في المجتمع التشادي حتى ضارت هذه المفردات مع طول الزمن وكثرة التداول مفردات عربية.

وخلال هذا البحث نتعرض لموضوع: "تأثير اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية في تشاد" عبر مباحث ثلاثة:

الأول: اللغات واللهجات الأفريقية في تشاد

الثاني: عوامل تأثير اللغات واللهجات على اللغة العربية في تشاد

الثالث: مظاهر تأثير اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية في تشاد

وقد تعرضت الباحثة للجانب التاريخي الذي يكشف لنا الأعراق والقبائل في تشاد، ومصدر لغاتهم ولهجاتهم وعوامل اكتسابها للغة العربية، والأمور التي أدت إلى تأثير اللغة العربية بهذه اللغات واللهجات الأفريقية في تشاد.

اتخذت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في كتابة هذا البحث المتواضع، والغاية منه المساهمة في تعريف المسائل اللغوية في تشاد. وتأمل أن يكون البحث على قدر من الصواب في إطاره، حتى يكون لبنة في جهود بناء هرم اللغويات في تشاد. وهو جانب خصب لم يتطرق له كثير الباحثون، وإجراء الدراسات فيه عملية

* نوقش هذا البحث ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الرابع لكلية الآداب – جامعة المنوفية (العلوم الإنسانية ومسارات التحول) في الفترة من ٢ إلى ٣ مارس ٢٠٢٢ م
(وقد تم تحكيم البحث من قبل اللجنة العلمية المختصة للمؤتمر)

ضرورية وملحة، حتى نتمكن من إبراز الواجهة الحقيقية للثراء اللغوي الذي تسخر به بلدنا تشاد، وأخيرا استسمحكم من كل خطأ أو غلط أو نسيان والكمال لله ع وجل والله المستعان، وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الأول:

أبرز اللغات واللهجات الأفريقية في تشاد

تعود اللغات واللهجات الأفريقية إلى جماعة الزنوج، وهم السكان الأصليون لأفريقيا جنوب الصحراء، ولفظ الزنجي قديم استعمله العرب، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور "الزنج جبل من السودان وهو الزنوج وأحدهم زنجي"^١ ويرى بعض الباحثين "أن الزنج والزنجية كلمة عربية صميّة يقصد بها الأفارقة من غير العرب".^٢

اتفق المؤرخون على أن لفظ الزنج لا يطلق إلا على ذوات البشرة السوداء دون الوقوف على المناطق والبلاد التي ينحصر فيها هؤلاء المقصودون بالبشرة السوداء "فالزنجي هو كل من له بشرة سوداء، وكان يطلق عليهم السودان، وهذا لم يقتصر على دولة السودان فحسب، ولكن على كل البلاد الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء، والتي يعيش فيها هذا الجنس من الناس".^٣

ومن ضمن ما يطلق عليه السودان الأكبر، تقع جمهورية تشاد بأراضيها الواسعة وجبالها الكثيرة وصحرائها المترامية الأطراف وسهولها وغاباتها الاستوائية الكثيفة في الجنوب. وتعد تشاد حلقة الوصل بين الدول العربية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، والتي تعد فاصلا مع الدول العربية والدول الأفريقية الزنجية.

... "وتعتبر بحيرة تشاد المحور الرئيسي الذي أسهم في جذب المهاجرين إلى هذه المنطقة، وقد حدثت هجرات عربية عديدة من إقليم وادي النيل اتجهت نحو بخيرة تشاد بالإضافة إلى القبائل العربية التي جاءت في ركاب الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا في القرن الهجري الأول وأواخر القرن السابع الميلادي".^٤

ويقول القلقشندي في مؤلفه نهاية العرب: "...ولم يزل العرب بعد ذلك كله في التنقل من جزيرة العرب والانتشار في الأقطار إلى أن كان الفتح الإسلامي، فتوغلوا في البلاد حتى وصلوا برد الترك وما داناها، وصاروا إل أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وبلاد السودان ملئوا الأفاق وعمروا الأقطار".^٥

^١ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة زنج.

^٢ أسامه الجوهري، الفن الأفريقي، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٣.

^٣ علوى عبد الرحمن النجار، الشعر الزنجي، معالم وسمات، القاهرة، ص ٢.

^٤ عبد الرحمن زكي، المسالمون والإسلام في غرب أفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٣٥.

^٥ عبد الرحمن زكي، المسالمون والإسلام في غرب أفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٣٥.

أثر اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية الفصحى في تشاد
احترف العرب الرحل الرعي، وأخذوا في الترحال والانتقال وراء
الكأ والماء، وتعمقوا في تلك البقاع وتعاملوا مع السكان الأصليين من
الزنوج.

ولما نشأت الممالك التشادية الثلاث، وشيدت المدن ودبت الحركة الاقتصادية والنشاط
التجاري وانتشر الدين الإسلامي على نطاق واسع، واعتناق الكثير من الأهالي
والسكان الأصليين الديانة الإسلامية وذكرت العديد من المصادر التاريخية أن "مملكة
كانم الإسلامية الأفريقية لم تبلغ ما بلغت من قوة وعظمة وعمر طويل إلا بعد أن
صارت دولة إسلامية، فقد أضحى الدين الإسلامي بثقافته الراقية عصب قوتها
الروحية والمادية، كما صارت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في شتى مناحي الحياة
من نظم الحكم والإدارة والاقتصاد والثقافة والعلوم والفنون".^١

وأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب، وقد ساعدت المعاملات والعلاقات
الاجتماعية في انتشارها من ناحية، ومن ناحية أخرى أسهم انتشار التعليم وفي دور
التعليم عنيت بتدريس أصول الدين من عبادات وعقيدة وتعليم اللغة العربية وثقافتها
إلى توسيع دائرة التعليم أواسط الأهالي والسكان الأصليين من الأعراق غير العربية.
وأدت عملية التعايش بين لعرب والسكان الأصليين إلى التعامل والاشتراك في
النشاطات الاجتماعية، وساعد ذلك على الاختلاط والمصاهرة بين السكان الأصليين
والعرب، فنتج من ذلك جيل خليط بلامح زنجية ولسان عربي، فكان التأثير الاجتماعي
أبلغ وأسرع، ويبرز التأثير بجلاء في انتشار اللغة العربية، حتى صار اللسان الذي
يتقاهم به الجميع، كما أن التأثير الجنسي كان ظاهرا حيث تم التزاوج والامتزاج بين
العرب والأجناس الوطنية الأخرى فنشأ من ذلك مجتمع أفريقي يتحدث اللغة العربية
باتقان إلى جانب اللغات الأفريقية".^٢

وينطبق هذا الأمر على جميع الممالك التي عرفتها تشاد وهي: كانم وباقرمي
ووداي، وعلى الرغم من أن لغة التواصل والتعاملات كانت اللغة العربية، بحيث تعد
القاسم المشترك بين جميع أفراد المجتمع في الممالك التشادية الثلاث، إلا أنه كانت
اللغات واللهجات القبلية منتشرة على نطاق واسع بين الجماعات العرقية، "وقد شهدت
كل ملكة من هذه الممالك الثلاث جماعات عرقية وقبائل متعددة، من أبرزها في مملكة
كانم الكانمبو والباللة والفولانيون والساو والزغاوة والقرعان، وقد كانت لهم لغات
 ولهجات خاصة بهم، حيث أثرت على طريقة نطقهم بالعربية نسبيا، كما عرفت
مملكة باقرمي لهجات تنتمي للقبائل البارزة التي كانت تقطن المملكة العربية

^١ إبراهيم طرخان، إمبراطورية برنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٧.

^٢ فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،
ليبيا، ١٢٠٠-١٦٠٠م، ص٨٣.

السعودية، منعت قبائل الباقرمي والعرب الشو وقبائل البرنو والماسا، وقد انتشرت بينهم اللغة العربية نسبيا وتأثرت اللغة العربية من خلال ألفاظها بطريقة نطقهم^١.
...وفي منطقة وداي التي ضمت كثير من الأعراق والأجناس والقبائل، انتشرت اللغة العربية في أوساط هذه القبائل مثل قبائل الوداي والميمي والمساليات والمسمجي والرونقا وغيرهم من القبائل^٢.

...وقد أسهم انتشار التعليم الديني على نطاق واسع في مملكة وداي على انتشار اللغة العربية في المجتمع الوداي آنذاك إضافة إلى وجود القبائل العربية والنشاط التجاري الذي يقتضي المعاملات والتفاعل الاجتماعي الذي أدى إلى امتزاج المواطنين الأصليين مع القبائل العربية الوافدة^٣.

وفي تلك المجتمعات كانت اللغة العربية هي لغة التواصل والمعاملات، وكانت وسيلة التفاهم والتواصل، مع أن لكل مجموعة قبيلة لغتها ولهجاتها الخاصة بها والتي يستعملها أفرادها فيما بينهم.

وقد خلقت الممالك الثلاث تشكيلات عرقية وأثنية غير متجانسة، تمتاز كل واحدة منها بلغة أو لهجة. ولكن اللغة العربية جمعتها ووحدت بين لسانها في إطار التعامل الاجتماعي والديني والعلمي.

وقد تفاعلت هذه الشعوب بعضها ببعض، وتفاعلت منصهرة في مجتمع واحد، وأسهمت عمليات التفاعل الاجتماعي والتفاعل الثقافي والفكري والديني، مع احتفاظ كل جماعة بخصوصيتها ولغتها^٤.

...ومن أبرز اللغات واللهجات في تشاد والتي لها تأثيرها على العربية في النطق هي تلك اللغات واللهجات السائدة بصورة كبيرة في أوساط المجتمع التشادي هي على سبيل المثال لا الحصر مثل: لغة الكانمبو عموما بغض النظر عن مراتبها ولغة البلالا ولغة الدزا ويطلق عليها الدزاقيري وهي لغة جماعة القرعان عموما، وفي الشرق تعد لغة المبا من أبرز اللغات الأفريقية التي تأثرت وأثرت في العربية التشادية، إضافة إلى لغة الزغاوة والمساليات، وفي وسط البلاد توجد لغة السارا وهي انغامباي وتعد من اللهجات الخاصة ببعض العشائر التي تنفرع من القبائل الكبرى^٥.

^١ إبراهيم صالح، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ص ٢٣.

^٢ فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، مرجع سابق، ص ٥٣.

^٣ المرجع السابق، ص ٨٥.

^٤ سعيد عبد الرحمن أحمد الجنديري، تطور لحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال حتى نهاية حكم تمبلباي، ١٩١٢- ١٩٦٠م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٨٨م، ص ٢٤.

^٥ المرجع السابق، ص ٣٠.

أثر اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية الفصحى في تشاد

المبحث الثاني:

عوامل تأثير اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية في تشاد

اللهجات جزء من هوية القبيلة ووسيلة الاتصال بين أفرادها، وتعرف اللهجة كما ورد في المعجم الوسيط "لهج بالأمر لهجا أولع به وثابر عليه واعتاده".^١ و"اللهجة أيضا اللسان أو طرفه واللهجة لغة الإنسان التي جبل عليها".^٢ أما في كتاب سيبيويه "اللهجة هي اللسان أو طرفه أو هي اللغة التي جبل عليها الإنسان فاعتادها ونشأ عليها".^٣

أما في الاصطلاح الحديث أن "اللهجة مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي خاصة وبشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة".^٤

إذا اللهجة فرع من اللغة، بمعنى أن اللغة أصل واللهجة فرع منها، فالعلاقة بين اللغة واللهجة علاقة العام بالخاص، ذلك لأن "كل لهجة لابد أن تكون تفرعت من لغة ما ومع مرور الزمن قد تندثر اللغة الأم وتبقى اللهجة وتتطور وقد تصبح لغة إذا حققت الشروط اللازمة".^٥ وعليه فإن الأراق الأفريقية من الأصول الزنجية، وتمتاز كل جماعة منها بلغة خاصة بها كوسيلة للتواصل ووعاء لحفظ التراث القبلي.

وقد أكدت العديد من الدراسات اللغوية أن معظم اللغات الأفريقية واللهجات ترجع في أصولها إلى اللغات الحامية كما يرجع بعضها إلى اللغات النيلية كما ذكر جان كابو في مؤلفه أطلس براتيك في تشاد أن "اللغات الحامية التشادية تتكون من سبعة مجموعات رئيسية".^٦

وقد اندمجت كل هذه اللغات واللهجات في مجتمع واحد وهو المجتمع التشادي، وأن كل مدينة كبيرة تضم جماعات أفرادها ينتمون إلى القبائل والأعراق التي تلهج بتلك اللهجات العديدة والمتباينة في عباراتها وأصواتها وتراكيبها.

إلا أنه على الرغم من كل ذلك التباين والتناقض في اللهجات، تمكنت اللغة العربية من توحيد كل هذه الأعراق والأثنيات التشادية في لغة التفاهم والتعامل، وصارت العامية العربية عنصرا من عناصر وحدة الأمة التشادية، وقد أسهمت العديد من العوامل في تأثير اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية عامة واللهجة خاصة في تشاد، حتى صارت بعض الألفاظ العربية تنطق بطريقة مغايرة ومختلفة

^١ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار المعارف للطباعة، مصر، ج ٢، ١٩٧٣م، ص ٨٤١.

^٢ صالحة راشد غنيم، اللهجات في كتاب سيبيوية أصواتا وبنية، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، جدة، ١٩٩٤م، ص ١٥.

^٣ المرجع السابق، ص ١٦.

^٤ عبد الله محمد آدم، الأصوات ورموزها في (بزا-مبا) لغة الوداي (البرقو)، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م، ص ١٢.

^٥ المرجع السابق، ص ١٥.

^٦ Atlas pratique du Tchad : Sous la direction assisté de Jean CABOT, assisté de Christian BOUQUET, Présentation de Sean DRESH, 1966, Paris, p.36.

د/ عفاف محمد عlish عووضة

بعيدة عن مصادرها وبنيتها العربية، كما أن بعض الألفاظ والعبارات قد تغلغت وانصهرت في العربية العامية، حتى يعتقد السامع أن أصلها ومصدرها عربي في الأساس.

ومن العوامل التي ساعدت على تأثير اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية نذكر منها ما يلي:

١ - العامل السياسي:

أن ظهور الكيانات السياسية التي أسهمت في تنظيم شؤون المجتمعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وفق نظم الشرعية الإسلامية وقيمها الفاضلة، أسهم في الامتزاج والاختلاط بين جميع الأعراق المحلية والقبائل العربية الوافدة، مما أدى إلى التأثير والتأثر اللغوي والثقافي والفكري بين هذه الفئات والجماعات.

٢ - عامل التعايش بين الجماعات المختلفة الأعراق:

أسهم التعايش بين الجماعات المختلفة الأعراق في صعيد واحد في بروز التفاعل الثقافي والاجتماعي والديني، الأمر الذي خلف أثراً ظاهراً في اعتماد عادات وأعراف مستمدة من الإسلام ومن القبائل العربية، وبما فيها اللغة العربية التي انتشرت في أوساط غير العرب الاتصال العلمي والديني والاجتماعي والاقتصادي، وقد تأثرت العربية بأساليب النطق أو صعوبة التهجئة ببعض الأصوات، مما أدى إلى الحصول تغيير وتبديل أو تحريف نتيجة للعجمة أو عسر النطق، ومع مرور الزمن صارت هذه العبارات المحفورة في قاموس اللغة اليومي في المجتمع.

٣ - عامل انتشار الإسلام:

أدى انتشار الإسلام في المجتمعات التشادية القديمة (الممالك الثلاث) روحاً وتطبيقاً ومعاملة، فكان التأثير الاجتماعي أبلغ وأسرع وأقوى في هذه الممالك عن غيرها من البلاد الأفريقية التي اعتنقت هذا الدين ولم تحظ بوجود القبائل العربية بينها، ويبرز التأثير بجلاء في "انتشار اللغة العربية حتى صارت اللسان الذي يفهم به الجميع من رعايا هذه الممالك حيث تم الامتزاج والتزاوج بين العرب والأجناس الوطنية في البلاد، فنشأ عن ذلك مجتمع أفريقي عربي يتحدث اللغة العربية بإتقان إلى جانب اللغات الأفريقية في البلاد".^١

٤ - العامل الاقتصادي والتجاري:

... "الحياة الإنسانية في كل بقاع الأرض تخضع للتفاعل الاقتصادي بين الأفراد، من أجل أجل توفير متطلبات الحياة الضرورية، ويؤدي ذلك إلى التعامل الاقتصادي

^١ فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، مرجع سابق، ص ٨٣.

أثر اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية الفصحى في تشاد

بين أفراد المجتمع الواحد، من أُل التفاعل والتبادل التجاري، ويقتضي هذا الاتصال والتفاهم عن طريق التواصل اللغوي، مما يجعل الأثير والتأثير اللغوي حتميا. والعرب الرحل والبدو يمثلان عنصران مهمان في هذا الجانب وهم لا يتحدثون سوى اللغة العربية، وبذلك قد فرضوا ذلك اللسان على كل من يتعامل معهم اقتصاديا، مما أدى إلى انتشار العربية من ناحية ومن ناحية أخرى ظهور اللحن والتحريف في العربية، عوضا عن تعريف بعض المفردات العجمية التي ينطقها الجماعات الزنجية ومع كثرة التداول أضحت وكأنها مفردات عربية الأصل".^١

... "وعامل التجارة من أقوى العوامل التي أثرت كثيرا اللغة العربية العامية في المجتمع التشادي هذا بالإضافة إلى القبائل العربية التي جلبت الدين الإسلامي الحنيف، واشتغل جزء كبير منها بالتجارة والرعي كوسيلة للعيش، كما أن القبائل التي تحترف الرعي لها صلات ومعاملات مع القبائل المحلية عبر التعامل والتبادل التجاري".^٢

٥- عامل التعليم

منذ انتشار الإسلام في المجتمعات التشادية القديمة، سارع الناس إلى اعتناقه والدخول فيه أفرادا وجماعات، وجدوا في طلب العلم والمعرفة وتزودوا من ثقافته وتعاليمه السمحة، وبذلوا في سبيل تعليم الغالي والنفيس، كما اجتهدوا في حفظ القرآن الكريم الذي هو عماد الدين، واهتموا بدراسة علوم الفقه والحديث وكل ما يتعلق بكتاب الله العزيز، وكانت حلقات العلم تقام في المساجد ودور العلماء وبيوت الأثرياء ثم الخلاوى والمسيج وحلقات تدريس اللغة العربية وآدابها وعلومها، كانت منتشرة في شتى أرجاء الممالك مما أتم إتقان الناس اللغة العربية نطقا وكتابة إلى جانب لهجاتهم القبلية، التي أثرت أحيانا في نطق الأصوات العربية وتأثرت بها".^٣

٦- العامل الاجتماعي:

الحياة المشتركة بين الأفراد في مجتمع واحد لها سمات مشتركة وثقافة واحدة ولغة تفاهم واحدة، تؤدي إلى الاختلاط والتقارب عبر المعاملة والزواج والمصاهرة والاقتران، ومعلوم أن ثقافة الأقوى هي الغالبة، وبالمقارنة ما بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية هي الأقوى والأوسع والأعمق والأنفع، لما يمدّها به الدين الإسلامي من قيم ومبادئ سامية تعمل على تهذيب النفوس وتربية الأفراد. وعليه فإن الزواج يعمل على نشر العربية بصورة فردية ولكنها قوية وعميقة وثابتة، وأدى ذلك إلى تغيير في الملامح والعقليات واللسان، الأمر الذي ساعد على تمكن اللغة العربية

^١ المرجع السابق، بتصرف، ص ٨١.

^٢ المرجع السابق، ص ٨٢.

^٣ المرجع السابق، ص ٨٢.

د/ عفاف محمد عlish عووضة
في المجتمع، وكذلك أدى إلى بروز اللكنات نسبة لعوامل فطرية في نطق الأصوات العربية نسبيا.

٧- عامل الميل إلى الانتماء للعرب:

أسهم ميل أغلب الحكام والسلاطين إلى الانتماء إلى الأصل العربي، بصورة أو بأخرى في انتشار اللغة العربية، فكثير من القبائل التشادية رغم تميزها بالسمات الزنجية التي تميزها عن العرب، فهي تنتمي إلى أصل عربي وتعود بجذورها إلى منابع عربية، الأمر الذي فرض عليهم التحدث بالعربية ولو بصورتها العامية، وأدى ذلك إلى انتشار اللسان العربي في الوسط الزنجي، لإثبات أنهم في الأساس من أصل عربي "وقد لعبت البيئة والمحيط الذي تعيش فيه القبائل دورا كبيرا في طريقة الأداء الصوتي لنطق بعض الكلمات العربية، وكثرة الاختلاط أدى إلى أن بعض القبائل العربية فقدت لغتها وأصبحت تتحدث اللغات الأفريقية مثل: بني وائل الذين سكنوا منطقة بحر الغزال وماو من إقليم كانم، كذلك القبائل العربية التي سكنت إقليم سلامات، وحصل بينها وبين السكان المحليين تزاوج على نطاق واسع، وهناك قبائل عربية في تشاد لم يبق من عروبتها غير الاسم، وذلك التنجر الذين سكنوا منطقة الدقنا والقيري، وهؤلاء صاروا يتحدثون اللغات واللهجات المحلية، ولولا المراجع العربية القديمة ذكرت بأنهم من أصل عربي لم صدق أحد بذلك، ولكنهم ما زالوا يتمسكون بأصلهم ونسبهم العربي وعاداتهم تقاليدهم العربية مع فقدانهم للسان العربي".^١

ويتأثر العرب الذين سكنوا الحضر والمدن "حيث يتدبرون في تيار الحياة الحضرية، وبالتالي فإن اختلاطهم بالسكان الأفريقيين أوسع نطاقا من أهل البادية، كما تأثروا كثيرا باللهجات المحلية التي انعكست على لسانهم ولغتهم حيث دخلتها ألفاظ غير عربية، وتداولوها في نطاق واسع حتى أصبح من الصعب عليهم التخلص منها، بل منهم من اعتقد أنها ضمن التراكيب العربية".^٢

٨- التعليم النظامي:

عرف المجتمع التشادي عبر الممالك الثلاث النشاط التعليمي التقليدي، والذي أسهم في نشر اللغة العربية، وعرفت تشاد التعليم النظامي العربي على يد العلم الجليل الشيخ محمد عlish عووضة، الذي أسس أول مدرسة نظامية عربية والتي اللبنة الأولى لتوالي المداري العربية النظامية. تطورت تلك المدارس أفقيا من حيث الأداء التربوي والمخرجات وتوسعت حتى التعليم الجامعي والعالي، وقد أسهمت هذه المدارس في تخريج أجيال تتقن العربية الفصحى لدرجة الإبداع الفكري.

^١ حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، مصر، ١٩٣١م، ص ٣٠٤.

^٢ فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد، مرجع سابق، ص ٨٨.

أثر اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية الفصحى في تشاد
غير أن هذه الفئة المتعلمة لم تتمكن من التأثير في مستوى العامية بصورة مباشرة، هناك محرفة ومبدلة تزخر بها العامية التشادية نظرا لارتباطها المباشر باللغات واللهجات الأفريقية المحلية، علما بأن ما يتحدثون العربية وتخرجوا بها أغلبهم من أعراق غير عربية، فالعربية ليست لغة الأم بالنسبة لهم، ولذلك تأثيره إلى حد ما في اللغة العربية ولاسيما العربية العامية في المجتمع التشادي. ونتيجة لكل هذه العوامل أثرت اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية تأثيرا بأبعاد متفاوتة، أحيانا في نطق الألفاظ أو في نطق صوت محدد أو في النبر، وكل ذلك يلاحظه السمع في معرض الحياة اليومية.

المبحث الثالث:

أثر اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية الفصحى

تتجلى مظاهر تأثير اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية، العامية خصوصا بكثرة في الأداء اللفظي للاتصال اليومي بين أفراد المجتمع، وهذا التأثير اللغوي على العربية يستمد مقومات قوته من أثر اللغات واللهجات على الناطقين بالعربية، حيث اكتسبوا عن طريق التعليم أو الاختلاط والمعاملة أو التزوج أو الانتماء الديني.

غير أن أساليب النطق بالأصوات العربية والألفاظ، قد يشكل صعوبة لهؤلاء الناطقين بالعربية عن طريق الاكتساب وبالتحديد من تعلموا العربية كبارا، فيلجأ هؤلاء إلى تسمية الأشياء الصعبة النطق بالعربية بلغتهم ولهجاتهم الأفريقية، ويفرضون ذلك على المخاطب وبخاصة في المعاملات التجارية والاجتماعية، فيقبل المخاطب ذلك مجاملة، ومع التداول والتكرار يصبح اللفظ معربا، ويدخل في القاموس التواصل الاجتماعي، كلفظ عربي وخاصة في غياب الدراسات أو قلة الدراسات اللغوية النقدية.

وبعض المفردات غالبا ما تكون عربية في الأساس والمصدر وغالبا ما تكون مركبة واعتبارها النحت، والنحت ناموس فاعل على الألفاظ، وغاية ما يفعله فيها إنما هو الاختصار في نطقها تسهيلا للفظها واقتصادا في الوقت بقدر الإمكان^١. والنحت جار في الألفاظ بغير قصد من الناطقين، وهو يسهل الكلام في اللغة العربية على من يتحدث اللغات واللهجات المحلية، ويطلع الإنسان يميل إلى الأسهل. فمثلا كلمة (ياتو) وهو لفظ شائع في القاموس اللغوي العربي العامي اليومي في تشاد ومعناه (من) وهي من لغة أحد القبائل التشادية وأصلها كلمة تنتمي إلى لغة (الكوتوكو) والتي أثرت كثيرا في العامية التشادية. ومن نماذج النحت أيضا كلمة (شونو) في العامية التشادية و"السودانية معا وأصلها كلمة عربية مركبة مؤلفة من ثلاثة كلمات مستقلة لفظا معنى

^١ جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، دار الهلال، القاهرة، ص ٧٣.

هي (أي شيء هو) "١". ومن نماذج النحت أيضا كلمة (أسع) أو (لسع) ومنهم من ينطقها (لسه) وتدل على النفي لحدث شيئا ما أي لم يحدث بعد وأصلا هي كلمة مؤلفة من لفظين في العربية (ليس بعد).

أما الألفاظ التي دخلت في العربية من غيرها مثلا: كلمة (كلوا) وتقال للتعزية، ويمكن أن تصرف ويقال: (كلوانا وكلواك وكلوا ليهم) وهي كلمة من لهجة (الوداي أو البرقو) في لغة (المبا). وكلمة (كلول) اسم لإناء يستخدم في الطبخ من لغة (الوداي). وكلمة (كليسكو) وينادي به الفتاة التي لم تتزوج بعد وألها من لغة (البرنو). وكلمة (لنقام) من أصل لغة (البرنو) وتقال للذي يخرج كثيرا من البيت الذي يقيم فيه. وكذلك تطلق كلمة (مسكورو) على اليوم التالي للعرس. ويقال أيضا: (كربلو) لأحد الأواني التي تستخدم لطبخ بعض المأكولات ويترك فيه الأكل حتى ينفد ولو بعد يوم لأن الأكل لا يتلف إذا بقي في هذا الإناء. وفي العامية التشادية لفظ (كيبكري) وهو مكيال للزيت ويبلغ حوالي ٣٠ سنتر لتر. ويكثر استعمال كلمة (أوماي) بمعنى (مصبية). وكذلك يكثر استعمال كلمة (دميه) ويستخدم لغسل الملابس والأواني ولحفز بعض الأشياء المنزلية وأصلها من لغة (الباقرمي).

ومن الأسماء والأفعال التي تستخدم في العامية التشادية العربية التي دخلت فيها من اللغات واللهجات الأفريقية المحلية: (أم يتيرو) أي الشعور، و(سنفاي) أي خلوة و(لقدابي) أي العريشة. و(سولونج) يطلق على الديك الأزعر الذي لا ريش لديه. و(فناقسو) أي الزلابيا. وهي من لغة (الباقرمي)، و(كوسي) أي الفلافل من لغة (الهوسا).

كما لعبت الصيغ للألفاظ العربية الفصيحة دورا مهما في تحريف بعض الألفاظ التي تشملها العامية وتستخدم على نطاق واسع، مثل: في جمع كلمة ثور بإبدال الثاء تاء للتسهيل وتجمع (توار) بدلا من ثيران. وقد تستخدم كلمة توار عند بعض أفراد المجتمع، والأمثلة على ذلك متعددة، وفيها يلاحظ تأثير اللغات واللهجات المحلية على اللغة العربية الوافدة، وخاصة العامية المستعملة كوسيلة اتصال وتفاهم بين أفراد المجتمع التشادي وقد دخلت فيها كثير من الألفاظ التي تعود أصولها إلى اللغات واللهجات الأفريقية الوطنية.

وقد ساعد الاختلاط وصعوبة نطق بعض الألفاظ العربية والتداول إلى ترسيخها وإثباتها في المعجم اللفظي المحلي.

كما أن ظاهرة النحت أسهمت في إبراز بعض الألفاظ المختصرة وكأنها غير عربية الأصل، زيادة على ذلك ظاهرة الإبدال واللقب وغيرها من الظواهر التي تؤثر في اللغة.

١ المرجع السابق، ص ٧٣.

الخاتمة

من خلال هذا الموضوع الذي يتعرض لظاهرة أثر اللغات واللهجات الأفريقية على اللغة العربية، استدرجت إلى التعرض لأصحاب اللغات واللهجات الأفريقية وهم سكان أفريقيا جنوب الصحراء، ويوصف أهل هذه الأقطار بالزنوج ويتميزون بالبشرة الداكنة، ومن البديهي أن الزنوج لهم لغات ولهجات يتواصلون بها، وقد أسهم دخول الإسلام وانتشاره والهجرات العربية إلى منطقة جنوب الصحراء وقيام الكيانات الحاكمة، أسهم إلى انتشار اللغة العربية نظرا لاعتناق أهل هذه الأقطار للإسلام، وأخذوا في تعليم أصول الدين والعبادات، إضافة إلى وجود العرب والبدو الرحل، كما ساعدت عمليات النشاط الاقتصادي واسكني والتزواج والمعاملات الاجتماعية وكذلك رغبة التشاديين في تعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم وهي اللغة الوحيدة التي دخلت أفريقيا سلميا، ساعد ظل ذلك إلى انتشار اللغة العربية على نطاق واسع بل صارت هي اللغة التي يتفاهم ويتواصل بها أفراد المجتمع التشادي، وعلى ذلك فقد تأثرت اللغة العربية باللغات واللهجات المحلية نتيجة للعديد من العوامل الدينية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والتجارية وتسربت إليها المفردات والعبارات.

واللغة كالكائن الحي تتأثر وتتوثر في اللغات واللهجات التي تحتك بها، ويعبر بها كل جماعة عن حاجاتهم، وهي وسيلة للاتصال والتفاهم، وهي تعيش في المجتمعات الإنسانية والتي تتألف في معظم الأحيان من أعراق وأثنيات متجانسة أو غير متجانسة. وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى هي موطن الأعراق الزنجية، ولكل عرق لغته ولهجته.

وقد نشأت كيانات تنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في إقليم تشاد قديما، وعرفت هذه المنطقة هجرات القبائل العربية ثم دخول الإسلام وانتشاره فيها، ونتج من ذلك انتشار اللغة العربية التي صارت لغة المجتمعات منذ تلك الفترة، وساعدت عدة عوامل على انتشارها، ولعب الامتزاج والتزاوج والسكن والمعاملات التجارية دورا كبيرا في امتزاج العربي بالسكان المحليين، الذين تعلموا العربية إلى جانب لغاتهم ولهجاتهم الإفريقية، وقد تأثرت اللغة العربية بهذه اللغات واللهجات الإفريقية من جراء الحياة الاجتماعية.

النتائج

وقد توصلت هذا الباحثة إلى النتائج الآتية:

- أن اللغة كالكائن الحي تتأثر وتؤثر على اللغات واللهجات الأخرى.
- أن سكان تشاد من ذوي البشرة السمراء أي الداكنة وينحدرون من أعراق وقبائل مختلفة.
- أن لكل قبيلة في تشاد لغتها الخاصة بها وبعض اللغات تتفرع منها لهجات.
- أن معظم القبائل التشادية اعتنقت الديانة الإسلامية.
- أن معظم أفراد القبائل التشادية يتحدثون العربية الفصحى.
- أن العربية المتحدث بها في تشاد هي العربية العامية.
- أنه توجد الكثير من المفردات في العامية التشادية أصلها غير عربي.
- أن العربية في تشاد تأثرت باللغات واللهجات الأفريقية المحلية.
- أن اللغة العربية كاملة الأصوات مما أدى إلى عجز بعض أفراد القبائل من نطق بعض الأصوات، فعمدوا إلى تسمية بعض الأشياء بلغاتهم.
- أن ظاهرة النحت ساعدت على انتشار العامية نسبة للتخفيف في النطق.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- أبين منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة زنج.
- ٢- أسامه الجوهري، الفن الأفريقي، هلا للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- ٣- علوى عبد الرحمن النجار، الشعر الزنجي، معالم وسمات، القاهرة.
- ٤- عبد الرحمن زكي، المسالمون والإسلام في غرب أفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ٥- إبراهيم طرخان، إمبراطورية برنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ٦- فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٢٠٠-١٦٠٠م.
- ٧- إبراهيم صالح، تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو، مطبعة مصطفى البابي، مصر.
- ٨- سعيد عبد الرحمن أحمد الجنديري، تطور لحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال حتى نهاية حكم تمبلباي، ١٩١٢-١٩٦٠م، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ١٩٨٨م.
- ٩- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار المعارف للطباعة، مصر، ج ٢، ١٩٧٣م.
- ١٠- صالحة راشد غنيم، اللهجات في كتاب سيبويه أصواتا وبنية، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، جدة، ١٩٩٤م.
- ١١- عبد الله محمد آدم، الأصوات ورموزها في (بزا-مبا) لغة الوداي (البرقو)، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.
- ١٢- Atlas pratique du Tchad : Sous la direction assisté de Jean CABOT, assisté de Christian BOUQUET, Présentation de Sean DRESH, 1966, Paris.
- ١٣- حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، مصر، ١٩٣١م.
- ١٤- جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية، دار الهلال، القاهرة.